بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي جعل عباده الصَّالحين أولياءه ، وأولياء الشَّياطين أعداءه, فقضى بما شاء وقدَّر الفوز والنَّجاة لمن اتَّبع سبيله، والهلاك والعقوبة لمن اتبع السُّبُل فتفرَّق عن سبيله ، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمد- ﷺ - ، المعصوم بعصمة الله له ، والمصطفى باصطفائه له ، حفظه ربُّه وأنزل عليه كتابه فعلَّمه ما لم يكن يعلم ، وعلى آله وصحبه الكرام الذين اهتدوا بهدى نبيِّهم فحازوا جنَّة ربِّهم .

أما بعد،،،،

بعض الناس يريد أن يعيش في عالم ملائكي لا غشَّ فيه ولا خداع , بعيدًا عن زخرف الحياة الدُّنيا وزينتها مع تحقيق أمر الله – ﷻ – في خلافة الأرض وعمارتها، فتبع سبيل ربِّه وهُداه فهدأت نفسه ، واطمأنَّ قلبه ، واستقرَّت حياته ، وبعضهم يريد أن يعيش في عالم الشَّياطين وما يحمله من شهوات ﴿ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾[1] ، وذلك دون أن يرعى حقَّ الله أو يقيم حدوده ، أو يملك جماح نفسه من تسلط عالم الذُّنوب والمعاصي عليه ، فيحيا في ظلال الموت الذي يظنُّه حياة ، فيكون معصوب العينين أينما توجَّهه لا يأت بخير، فتتقاذفه السُّبُل ، فيعرض عن هدى ربِّه ، ويضل عن سبيل دينه القويم .

فالصُّورة الأولى تجسيد لحقيقة الإيمان ، ولم لا وصاحبها يريد أن يتشبَّه بملائكة الرَّحمن الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ؟ .

والصُّورة الأخرى تجسيد لحقيقة الكفر والطُّغيان ، حيث يعزُّ على أصحابها مفارقة اللهو واللعب ، ويصرُّون على جوار الشَّيْطان ، ويأبون إلا الخروج من جنَّة الرَّحمن سبحانه وتعالى ، وهذه الصُّورة تخالف الصُّورة الأولى قلبًا وقالبًا.

فهذا هو آدم –عليه السلام – خلقه الله – ﷻ – بيده ونفخ فيه من روحه ، وأسكنه فسيح جناته بما فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم نهاه عن الأكل من

(1) آل عمران من الآية 14 .

الشَّجرة فأكل منها ، فعاتبه ربُّه – ﷻ – فأعلن توبته فتاب عليه ، وكذلك حال التَّوَّابين من ذريته ، فالتَّوبة والنَّدم والرجوع إليه سبحانه وتعالى علاج العصيان , وذلك حتى يظلَّ باب الرَّحمة مفتوحًا بين العبد وربِّه ، فتلك الصُّورة الأولى .

وهذا هو الشَّيْطان الذي أُمر بالسجود لآدم – عليه السلام – فأبى أن يكون مع السَّاجدين ، فعاتبه ربُّه – ﷻ – فلم يعد إلى رشده ولم يتب من ذنبه ، فطرد من رحمته وجنَّته إلى يوم يبعثون ، وفي النَّار ومن اتَّبعه وبئس المصير ، فتلك الصُّورة الأخرى .

ولكن مع إعلان الطَّاعة والولاء والتوبة من آدم – عليه السلام – إلا أنَّه أهبط إلى الأرض بأمر ربِّه وخرج من جنَّته مصحوبًا برحمة الله ورضوانه بعد أن تاب الله عليه ، وخرج إبليس مصحوبًا باللعنات والخزي والوبال والخسران بعد رفضه الخضوع لأوامر الله والامتثال لها .

وبعد إعلان قبول التَّوبة من آدم – عليه السلام – والسخط على الشَّيْطان لم يكن ليهدأ الشَّيْطان ، أو يرفع الرَّاية البيضاء رمزًا لخضوعه واستسلامه لأمر خالقه – ﷻ – ، بل أقسم على طرد ذرية آدم من رحمة الله وجنَّته جزاء وفاقًا إلا عباد الله المخلصين فليس له عليهم من سلطان .

ولكن كيف يتمكَّن من تحقيق هذه الأمنية وليست لديه الوسائل التي تساعده على ذلك ؟ ، فما كان منه إلا أن سأل ربَّه أن يمنحه هذه الوسائل التي تمكِّنه من إحاطته ببني آدم واستيلائه عليهم ، فأعطاها الله إياها ابتلاء واختبارًا لهم .

وانطلق الشَّيْطان في أرض الله مستثمرًا تلك الوسائل التي منحه الله إيَّاها ، يكيد لبني آدم ويمكر بهم ويخدعهم ، وذلك في إطار صور وأشكال مختلفة يعرضها عليهم صباح ومساء ، وفي كل لحظة من لحظات أعمارهم .

فما من يوم تشرق شمسه أو تغرب ، أو يبزغ فيه ضوء القمر أو يختفي ، أو يتعاقب فيه الليل والنهار إلا والشَّيْطان يترصَّد فيه لبني آدم ، يُزَيِّن لهم المنكرات ، ويُجَمِّل لهم الفواحش والموبقات ، ويُقَبِّح في أعينهم فعل الطَّاعات ، فما كان من بني آدم إلا أن توجَّه بعضهم إلى عبادة ما تعبَّدهم به الشَّيْطان، وآخرون هجروا دعوته ونبذوا عبادته إلى عبادة خالقهم الرَّحمن سبحانه وتعالى ، وذلك بما منحهم الله به من وسائل الهداية إلى الطَّريق المستقيم والدِّين القويم : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[1], فعلموا أن مصدر النُّور والضِّياء واحد لا يتعدَّد ، وهذا هو سبيل الله ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[2] ، وأما سُبُل الشَّيطان فهي ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾[3] تتعدَّد صورها وتختلف أشكالها .

ومن هنا ذابت صورة الشَّيطان واختفت مع أولياء الرَّحمن ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[4]، ولكن ظهرت واتَّضحت رؤيته مع أوليائه ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾[5] .

وعندما سلك الشَّيطان هذه السُّبُل توجَّه بها إلى بني البشر جميعًا على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم وألوانهم دون تفريق بين طبقة وأخرى ، فلم يترك ربوة أو واديًا أو جبلا أو بحرًا أو جوًّا إلا وقد أعلن عداوته لهم .

فإذا حلَّقَ الإنسان في سماء الله ترصَّد له ، وإذا هبط إلى الأرض قعد له ، وإذا ارتقى إلى قمة الجبال كان معه، وإذا نزل إلى الوادي انتظره ، وإذا غاص في أعماق البحار تقرَّب منه ، وهكذا لا يترك شبرًا من أرض الله إلا وكان لبني آدم بالمرصاد ، فالشَّيْطان وبنو آدم خصمان، ولن تنتهي هذه الخصومة إلا بعد إعلان النهاية ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ .وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[6].

وقد خبر الشَّيطان بما منحة الله إياه حقيقة بني آدم ، وعرف نقاط الضَّعف فيهم ، فأيقظها في حياتهم ، وقوَّاها في نفوسهم ، فحادت عن منهج الله الذي رسمه لهم إلا عباد الله المخلصين الذين خبروا حقيقته ، فدعاهم فلم يُلَبُّوا ، وناداهم فلم يستجيبوا ، فضمن الرَّاحة والسَّلامة مع أوليائه ، وخاب وخسر مع أعدائه .

---

(1) الأنعام من الآية 153 .
(2) النور من الآية 35 .
(3) النور من الآية 40 .
(4) النحل من 99 .
(5) النحل من 100 .
(6) الرحمن الآيتان : 26 ، 27 .

وحتى ينجح الشَّيطان في آداء مهمته ، وتتحقَّق غايته في إضلال بني البشر واتِّباعهم لهواه لم يكن ليسلك مسلكًا واحدًا لا يحيد عنه ، أو يظهر بصورة واحدة لا تتغيَّر حتى يحذروه ويعرضوا عنه ، ولكن تشكَّلت صوره واختلفت ، حتى إذا فشل في تحقيق أمنية في صورة ما لجأ إلى أخرى حتى يحقق ما يريد ويصل إلى ما يصبو إليه .

وهذه الصُّور والأشكال المختلفة قد يتَّجه ببعضها إلى بني البشر جميعًا حتى يتمكَّن من تمزيق كلمتهم ، وتقويض بنيانهم فتضعف قواهم وتنهار أمام شدائد الحياة ، وقد يتَّجه بالأخرى إلى طائفة منهم ، وذلك من خلال استغلال جانب من جوانب حياتهم ، فعلى سبيل المثال قد يفسد عليهم رسالتهم ، أو قد تتحكَّم فيهم شهواتهم ، وتوجِّههم رغباتهم فيخرِّون له ساجدين – كما يظنُّ ويعتقد – .

ومن هنا ظهرت سُبُل الشيطان العامَّة والخاصَّة ، وكأنها محطَّة من محطات التمحيص والابتلاء والاختبار قدَّرها الله على بني آدم :﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

وعندما قرأت كتاب الله تعالى وحاولت تدبُّرَ ألفاظه ظهرت لي هذه السُّبُل بجانبيها العامِّ والخاصِّ ، وذلك من عدة لغات مختلفة ، فالعام قد تجسَّد مع بني آدم جميعًا، والخاصُّ قد تجسَّد مع أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين ثم الخارجين عن حدوده ، فقمت بحصرها قدر جهدي ، ثم صنَّفتها إلى أربع رسائل ، كل رسالة منها تحتوي على مجموعة من الصُّور ، حيث تحمل كل صورة سبيلا من سُبُل الشَّيطان ، فقدَّمتها على النحو الآتي ، ثم صنَّفتها على الترتيب الألفبائي المعروف ،وباعتبار بداية تقديم هذه اللغات قدَّمت ذكر الشَّيطان في جميع الرَّسائل.

الرِّسَالة الأولى : لغة الشَّيْطان مع بني آدم عامَّة

ويندرج تحت هذه الرِّسالة ست من الصُّور :

الصُّورة الأولى: سبيل الإتيان	الصُّورة الثَّانية : سبيل الاحتناك
الصُّورة الثَّالثة: سبيل الخُطُوات	الصُّورة الرَّابعة : سبيل الفتنة
الصُّورة الخامسة: سبيل الاستفزاز	الصُّورة السَّادسة : سبيل القعود

(1) آل عمران الآية 141 .

الرِّسَالة الثَّانية : لغة الشَّيْطان مع أنبياء الله ورُسُله

وهذه الرِّسَالة تتضمن سبعًا من الصُّور :

الصُّورة الأولى : سبيل الزَّلل — الصُّورة الثَّانية : سبيل العمل

الصُّورة الثَّالثة : سبيل الإلقاء — الصُّورة الرَّابعة : سبيل النَّزغ

الصُّورة الخامسة : سبيل النِّسيان — الصُّورة السَّادسة : سبيل الهمزات

الصُّورة السَّابعة : سبيل الوسوسة

الرِّسَالة الثَّالثة : لغة الشَّيْطان مع الصَّالحين

تحتوي هذه الرِّسَالة على ثمان صور :

الصُّورة الأولى: سبيل الخُطُوات — الصُّورة الثَّانية: سبيل الخوف

الصُّورة الثَّالثة: سبيل الرِّجْز — الصُّورة الرَّابعة: سبيل الزَّلل

الصُّورة الخامسة: سبيل الطَّائف — الصُّورة السَّادسة: سبيل العمل

الصُّورة السَّابعة: سبيل الكيد — الصُّورة الثَّامنة : سبيل النَّجْوى

الرِّسَالة الرابعة : لغة الشَّيْطان مع الخارجين عن حدود الله

من خلال تسع من الصُّور يأتي مضمون هذه الرِّسَالة :

الصُّورة الأولى: سبيل الأزِّ — الصُّورة الثَّانية: سبيل التِّلاوة

الصُّورة الثَّالثة: سبيل التَّخبط — الصُّورة الرَّابعة: سبيل الدَّعوة

الصُّورة الخامسة: سبيل الزِّينة — الصُّورة السَّادسة: سبيل التَّسويل

الصُّورة السَّابعة: سبيل الضَّلال — الصُّورة الثَّامنة: سبيل الاستهواء

الصُّورة التَّاسعة : سبيل الوحي

الخاتمة : وهي تتضمن أهم النتائج التي قَدَّمتها هذه الدِّراسة .

هذا، ولغة الشَّيْطان أصبحت لغة العصر الآن إلا من رحم ربِّي وخاصَّة بعد أن سيطرت علينا الفتن وأظلتنا الشَّهوات ، وأصبحنا ندَّعي مجدًا تليدًا فخرًا بآبائنا وأجدادنا ، ثم فخرًا بحضارتنا ، أما آن لنا أن نفخر برسولنا – ﷺ – وصحابته الكرام الذين أقاموا شرع الله في الأرض ، ثم نفخر بأنفسنا ونعتز بها اتباعًا لهذا النَّهْج القويم ، حتى يهدينا ربُّنا إلى صراطه المستقيم .

وبعد ، فهذه هي ألفاظ القرآن الكريم تظهر بين ثنايا المصحف نورًا وبرهانًا يقرأها ويقرُّ بها المحبُّون والمخلصون لربِّهم سبحانه وتعالى فتتمكَّن في قلوبهم فتسطع عالية خفَّاقة ، دليلا على هدايتهم ورشدهم ونقاء سريرتهم ، وذلك كحبات اللؤلؤ التي تنتشر في السَّماء فتملأ الأرض بهاء ونورًا ، وهدى يهتدي بها كل حيران لا يجد لنفسه سبيلا ، وهذه الرَّسائل تمثل حَبَّة منها ، ولم لا وقد صيغت وأحكمت صياغتها من لدن حكيم خبير ؟ .

هذا ، و(لغة القرآن في بيان سُبُل الشيطان) هو العنوان الجامع لهذه الدِّراسة برسائلها الأربع ، و(القول المبين حول دلالة الألفاظ في القرآن الكريم) هو عنوان هذه السِّلسلة القرآنية التي تعلن ميلادها بميلاد هذه الدِّراسة مؤكِّدة دائمًا وأبدًا على أن القرآن الكريم هو سبيل وحدة هذه الأمَّة ، وعنوان سعادتها ، ومنهج تقدُّمها وحضارتها ، ولن تكتب لها النَّهضة في جميع الميادين ، وارتداء ثوب الإجادة والتَّمكين إلا في ظلال تعاليمه ، ومراعاة آدابه وأحكامه ، فحاول أيها القارئ الكريم تقليب صفحات هذه الدِّراسة وتصفح أوراقها ، وانتقل بروية وتؤدة من صورة إلى أخرى ومن سبيل إلى آخر حتى ترى بنفسك وعين بصيرتك القرآن الكريم وإبداعه في استخدام ألفاظه ، وبيان حكمه وأسراره ، وذلك من خلال لغته التي تتعامل بدقَّة مع جميع خصال النَّفس البشرية ونوازعها المختلفة ، واتجاهاتها المتعدِّدة ، وتصريحات الشَّيطان وتلميحاته بما يتلاءم ويتوافق معها ، وذلك في إبداع عجيب ونظم بديع .

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[1]

(1) النحل من الآية 9.